مجلة الإحياء، المجلد 26، العدد: 39، جويلية 2026، ص - ص: 141-158
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في أوائل السور وصلته بالتفسير الموضوعي عند حبنكة الميداني من خلال كتابه معارج التفكر

The connection between the object of the oath and the object of the oath at the beginning of the surahs and its connection to the objective interpretation of Habnaka al-Maydani through his book, “The Ascents of Contemplation”

طالب دكتوراه أسامة شيبان[1] **أ.د/ حسين شرفة**
Oussama CHIBANE **Hocine CHEURFA**
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة
Oussama.chibane@univ-batna.dz hocine.cheurfa@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2025/11/10 **تاريخ القبول: 2026/07/16**

الملخص:

يعالج هذا المقال المعنون بـ "المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في أوائل السور وصلته بالتفسير الموضوعي عند حبنكة الميداني من خلال كتابه معارج التفكر"، إشكالية بحثية متعلقة بنوع من أنواع المناسبات بين آيات القرآن، وهي المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، اللذين وردا في فواتح سور القرآن، ومدى اهتمام عبد الرحمان حبنكة الميداني به من خلال تفسيره المسمى بـ "معارج التفكر ودقائق التدبر"، وتكمن أهمية المقال في بيان جهد من جهود أحد المفسرين المعاصرين في هذا النوع من المناسبة، وبيان مظاهر أهميته عنده، كما أنه تناول مدى توظيف هذه المناسبة في التفسير الموضوعي عند الميداني الذي يعتبر من رواد التفسير الموضوعي تنظيرا وتطبيقا.

وكانت نتيجة هذا المقال أن الميداني اهتم ببيان هذه المناسبة تنظيرا وتطبيقا، وأنه يستعمل هذه المناسبة لشرح معاني آيات القرآن، كما أنه اعتمده كقاعدة من قواعد الترجيح عند الاختلاف، ومن نتائجه أن الميداني يوظف هذه المناسبة في التفسير الموضوعي من خلال ربطه للمناسبة مع موضوع السورة ودروسها.

الكلمات المفتاحية: المناسبة؛ المقسم به؛ حبنكة الميداني؛ التفسير الموضوعي؛ معارج التفكر.

Abstract:

This article, titled "The Connection between the Oath and the Swearer in the Beginnings of Surahs and its Relation to thematic Interpretation in Habannakah al-Maydani's 'Ascents of Reflection'", addresses a research problem related to a type of connection between verses of

[1] المرسل المؤلف

the Quran: the connection between the oath and the swearer, which appears at the beginnings of Quranic chapters. It examines the extent of Abd al-Rahman Habannakah al-Maydani's interest in this connection, as demonstrated in his commentary, "Ascents of Reflection and Subtleties of Contemplation".

The article's significance lies in highlighting the efforts of a contemporary commentator in this area and demonstrating its importance to him. It also explores how this connection is employed in thematic interpretation by al-Maydani, who is considered a pioneer of thematic interpretation both theoretically and practically. The article concludes that al-Maydani paid close attention to explaining this connection both theoretically and practically, and that he utilizes it to clarify the meanings of Quranic verses. Furthermore, he adopted it as a principle for resolving differences of opinion. Finally, the article concludes that al-Maydani employs this connection in thematic interpretation by linking it to the theme and lessons of the surah.
Keywords: connection; oath at the beginning; Habannakah al-Maydani's; objective interpretation; the Ascents of Contemplation.

القرآن العظيم كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المقسم على "114" سورة قرآنية، والمتأمل في بدايات سور القرآن الكريم يجد تباينا أسلوبيا في مقدماتها، فسور ابتدأت بأسلوب خبري، وأخرى ابتدأت بالأسلوب الإنشائي، ومن أنواع الأساليب الإنشائية التي ابتدأت بها السور القرآنية "القسم".

والمتتبع لهذه الأقسام الواردة فواتح السور يلاحظ تنوع الأمور المقسم بها، والمقسم عليها، مما جعل الباحث يتساءل عن وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في القسم الوارد فواتح سور القرآن عند الميداني، ومدى توظيفه للمناسبة المذكورة في منهجية التفسير الموضوعي، لذلك جاء هذا المقال ليجيب عن إشكالية رئيسة: ما المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه الواردين أوائل السور؟

وتفرعت عنها إشكالات فرعية: هل اهتم عبد الرحمان حبنكة الميداني ببيان هذه المسألة؟ وما علاقتها بالتفسير الموضوعي؟

وتكمن أهمية المقال في أنه يسلط الضوء على موضوع التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وهو موضوع له علاقة وطيدة ببيان إعجاز القرآن، من خلال بيان ارتباط آياته، وتناسب كلماته، وارتباط ذلك بموضوع السورة ودروسها، ومما يزيد البحث أهمية أنه مرتبط بشخصية قرآنية تفسيرية لها جهود متنوعة في خدمة التفسير عموما والتفسير الموضوعي خصوصا، وهو عبد الرحمان حبنكة الميداني.

أما الدراسات السابقة؛ فلم أقف على من درس هذه القضية لدى الميداني تحديدا، فالمقالات التي اطلعت عليها تناولت التناسب بين المقسم به والمقسم عليه عموما، منها:

"العلاقات السياقية بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن" للدكتور إبراهيم صبر الراضي، وهو مقال منشور في مجلة الآداب واللغات بجامعة ذي قار العراقية، في العدد الثاني بتاريخ 2017/12/1، وهذا المقال يختلف عن مقالي في تناوله للقسم في القرآن كله، في حين يختص مقالي بالقسم الوارد فواتح السور، وينفرد مقالي ببيان جهود الميداني في بيان هذا النوع من المناسبة.

أما أهداف البحث فيهدف لبيان أوجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه لدى الميداني تنظيرا وتطبيقا، ومدى توظيف هذه المناسبة في التفسير الموضوعي.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مطالب، خصصت المطلب الأول للتعريف بالمصطلحات الواردة في العنوان وهي: عبد الرحمان حبنكة الميداني وتفسيره، المناسبة والمقسم به والمقسم عليه والتفسير الموضوعي، والمطلب الثاني تطرقت فيه لجهود الميداني في بيان العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وأما المطلب الأخير فتكلمت فيه عن مدى توظيف تلك العلاقة في التفسير الموضوعي.

المطلب الأول: التعريف بحبنكة الميداني وتفسيره معارج التفكر وتأصيل مفهوم كل من المناسبة والقسم والمقسم به والتفسير الموضوعي

جاء هذا المطلب كتمهيد للمطالب الأخرى، يتدرج بالقارئ شيئا فشيئا ويعينه على فهم ما سيذكر فيها، بدأت بالتعريف بالميداني وتفسيره معارج التفكر، ثم بينت المقصود من المناسبة والقسم والتفسير الموضوعي، وقسمته إلى فرعين:

الفرع الأول: التعريف بعبد الرحمان حبنكة الميداني وتفسيره معارج التفكر

أولا: التعريف بعبد الرحمان حبنكة الميداني [1]

هو عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ولد في دمشق - حي الميدان سنة 1354هـ- 1927م، فجده مرزوق كان من الأتقياء الصالحين الورعين، المحبين للعلم والعلماء. وأبوه حسن العالم الفذ الصامد، المربي والموجه للأجيال وحامل لواء الدعوة في دمشق الشام، ثم في سوريا كلها، وهو من كبار العلماء العاملين وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

درس عبد الرحمان في "معهد التوجيه الإسلامي" وتخرج منه سنة 1367 هـ/1947م، ثم انتسب إلى كلية الشريعة بالأزهر الشريف سنة 1370 هـ/ 1950م وتحصل على الشهادة العالية - الليسانس - ثم على العالمية مع إجازة في التدريس - الماجستير-.

عمل أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لمدة عامين، ثم أستاذا في جامعة أم القرى لمدة ثلاثين سنة حتى وصل لسن التقاعد، وبعد تقاعده اختير عضوا في "المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي" في مكة المكرمة، وعضوا في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

توفي رحمه الله ليلة الأربعاء 25 من جُمادى الآخرة 1425هـ / 11 أوت 2004 عن 80 سنة.

وترك الشيخ الكثير من المؤلفات من أهمها: تفسيره للقرآن المسمى "مَعارجُ التفكُّر ودقائقُ التدبُّر".

ثانيا: التعريف بالتفسير المسمى "معارج التفكر ودقائق التدبر"

هو تفسير للقرآن الكريم، طبع في خمسة عشر مجلدا، كل مجلد في نحو 700 صفحة، وهو تفسير مرتب على ترتيب النزول لا على ترتيب المصحف، وقد فسر القرآن المكي كله ثم بدأ في تفسير السور المدنية وأولها سورة البقرة فتوفاه الله قبل أن يكملها ولم يتم ما بقي من السور المدنية. وقد وصفه بقوله: "تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول"[2].

ويعد هذا التفسير تطبيقا عمليا للقواعد التي ذكرها في كتابه "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل" حيث ذكر سبعا وعشرين قاعدة في الطبعة الأولى التي طبعت سنة 1980، ثم توسع فيها حتى أوصلها إلى أربعين قاعدة في الطبعة الثانية والثالثة، قال عنها: "قواعد هادية لمن أراد أن يتدبر كلام الله بصورة فضلى... فقد وجدت بالممارسة أنها ذات نفع عظيم للمتدبر وتصلح منهجا يحتذيه المتدبرون للقرآن"[3].

الفرع الثاني: تأصيل مفاهيمي للمناسبة والمقسم به والمقسم عليه والتفسير الموضوعي

أولا: المناسبة

لغة: هي المشاكلة، واتصال الشيء بالشيء بأي وجه من الوجوه، ومشاكلته له[4]، و جاء في معجم مقاييس اللغة: النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيئ بشيئ[5].

وأما تعريفها في **الاصطلاح**: فقد ذكر علماء الدراسات القرآنية تعريفات متنوعة للمناسبة، منها تعريف مصطفى مسلم الذي قال فيه "الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[6].

ويلاحظ أن مصطفى مسلم جمع في تعريفه بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، كما يلاحظ اقتصاره في التعريف على بعض أنواع المناسبة.

وأنا أقصد في هذا المقال نوعا واحدا من أنواع المناسبة في القرآن الكريم، وهو المناسبة بين آياته، بل إلى جزئية واحدة من هذا النوع وهو التناسب بين الآيات التي ورد فيها المقسم به والمقسم عليه في فواتح سور القرآن.

ثانيا: التعريف بالمقسم به والمقسم عليه:

القسم ضرب من ضروب الإنشاء الطلبي[7]، وهو "جملة يؤكد بها جملة أخرى، فالجملة المؤَكدة هي المقسم عليه، والجملة المؤكِدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به"[8]، وأركانه أربعة منها:

1- المقسم به: والمقصود به هنا الأمور التي أقسم الله بها في فواتح سور القرآن الكريم.

2- المقسم عليه: والمقصود به هنا الأمور التي ورد القسم لتأكيدها في فواتح سور القرآن الكريم.

ثالثا: مفهوم التفسير الموضوعي

وردت عدة تعريفات للتفسير الموضوعي من أشهرها ما اختاره مصطفى مسلم: "العلم الذي يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[9].

وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- التفسير الموضوعي للمصطلح.

2- التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

3- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية[10].

ودراستي تختص بالقسم الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، والمقصود به أن لكل سورة موضوعها العام الذي تتكلم عنه، وخطوطها العريضة التي بنيت عليها، ودروسها التي فصلت عليها، والمفسر ينظر إليها كوحدة موضوعية متناسقة، متعانقة الدروس، ومرتبطة بموضوع السورة.

المطلب الثاني: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه الواردين في فواتح السور عند الميداني

يعتبر القسم من الأساليب الإنشائية الطلبية الواردة في القرآن الكريم، ويأتي لأغراض متعددة منها تأكيد المقسم عليه، والإشارة لمكانة المقسم به، وبالتأمل فيما كتبه الميداني يلاحظ اهتمامه ببيان التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، لذلك سأبين في هذا المطلب جهود الميداني في بيان هذه المناسبة، وقسمته إلى فرعين:

الفرع الأول: اهتمام الميداني ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وأهميتها

القرآن كلام الله لفظا ومعنى، وترتيب الآيات القرآنية توقيفي من عند الله تعالى، واختيار الألفاظ والكلمات ووضعها في سورة دون أخرى، وفي آية معينة دون غيرها، وفي بداية السورة دون نهايتها، له دلالات مقصودة، وغايات منشودة، تنكشف للمتدبر لآيات القرآن وللمتأمل لكلمات الفرقان، وهذه الكلمات المختارة لها علاقات متنوعة مع سباقها ولحاقها، لذلك نجد الميداني وهو يتدبر القرآن العظيم في تفسيره يلاحظ ذلك ويجعله نصب عينيه في تدبره، وسأبين ذلك من خلال الآتي.

أولا: اهتمام الميداني ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه

وسأبين مدى اهتمامه ببيان تلك المناسبة من خلال النقاط التالية:

1- نص على أهمية بيان المناسبة في كتابه "قواعد التدبر الأمثل"، وذلك أنه جعل قاعدة بعنوان: "حول القسم في القرآن"، وذكر خمس مسائل متعلقة بالقسم، أولها: ما عنون له بـ "شرح المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه"، وقد نص على ضرورة التدبر في آيات القسم لاكتشاف هذه المناسبة، فهو يعين على فهم آيات القرآن فهما صحيحا، كما أنه يعين على الترجيح بين الأقوال عند التعارض[11].

كما نص عليها في تفسيره بقوله: "وقد عهدنا في الأقسام القرآنية التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في السورة، فعلى المتدبر أن يتأنى في التفكير والتأمل حتى يدرك التناسب بين المقسم به والمقسم عليه"[12].

فعادة القرآن الكريم التناسب بين المقسم به والمقسم عليه كما بينها الميداني، وأشار إليه بقوله "وقد عهدنا"، بل يرى أن أحكم أنواع القسم، وأعلاها منزلة، وأقواها بلاغة ما تناسب المقسم به مع المقسم عليه، وهو الذي قصده الميداني بقوله: "ما له صلة بكمال المقسم"، وذلك حينما قال: "... أما إذا كانت القضية من الأمور الغيبية الخبرية التي ليس لها حجج عقلية مباشرة، فيأتي الإخبار بها مقترنا بالمؤكدات التي تعارف الناس على تأكيد أخبارهم بها، وأعلاها القسم، وأحكم الأقسام ما له صلة بكمال المقسم صاحب الخبر، وله مناسبة تصله بالمقسم عليه، كالقسم الذي تدبرناه في هذا الدرس من سورة الطارق"[13].

2- ذكر في كتابه "قواعد التدبر الأمثل" ثلاث أمثلة تطبيقية بين فيها وجه المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه[14].

3- اهتم ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في تفسيره، فالسور التي افتتحت بالقسم أربع وعشرون سورة، بين المناسبة في نحو ثلاث عشرة سورة بشكل صريح وواضح، وهذا يؤكد اهتمامه الكبير ببيان هذه المناسبة، وسأختار بعض الأمثلة التي تبين ذلك.

المثال الأول: في تفسيره للقسم الوارد أول سورة الضحى، ذكر اختلاف العلماء في تفسير لفظتي ﴿وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)﴾، ورد القول القائل إن المقصود بهما النهار كله والليل كله، لعدم وجود دليل على ذلك، ولعدم إخراج اللفظ عن خصوصه المذكور في الآيات[15].

ثم أكد ذلك ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه بقوله: "وللقسم بالضحى وبالليل إذا سجا معنيان مقصودان فوق كونهما آيتين من آيات الله في كونه، وهذان المعنيان قد روعي فيهما المقسم عليه، إذ ربما كان وقتا الضحى والليل إذا سجا في تلك المرحلة من مراحل رسالة الرسول محمد ﷺ هما الوقتان المختاران لنزول الوحي عليه، فالضحى يكون فيه الناس منصرفين إلى أعمالهم وأسواقهم، فيخلو فيه مستقبل الواردات الربانية لربه، دون أن يجد ما يعكر صفوه، ويفسد عليه خلوته. والليل إذا سجا أي إذا سكن

وأظلك وكان ساترا، هو وقت صفاء القلوب والنفوس والأفكار، ووقت تنزل واردات المعارف الربانية، والرحمات القدسية. فهذان الوقتان الملائمان للمقسم عليه في السورة، وهو أن الله ما ودع رسوله وما قلاه، كما أشاع المكايدون والمكايدات، والحاسدون والحاسدات"[16].

فالميداني رجح قولا في تفسير الضحى، والليل إذا سجى، بناء على تناسبهما مع المقسم عليه وهو "أن الله ما ترك محمدا، وأن الوحي لم ينقطع"، فأقسم بوقتين من أوقات نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ على أن الوحي لم ينقطع، وفي ذلك من التناسب ما هو ظاهر.

المثال الثاني: في سياق تفسيره للقسم الوارد أول سورة العاديات قال: "والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه ظاهرة، أي: أَقسم بنعمتي عليك أيها الإنسان إذ سخرت لك الخيل بكل ما فيها من صفات ملائمات لنشر ديني وإعلاء كلمتي، على أنك كنود كفور بنعمتي، تستعمل ما سخرت لك في معصيتي بالغي والطغيان، والإثم والظلم والعدوان"[17].

فالله أقسم بطائفة من نعمه، تذكيرا بها وبوجوب شكرها واستعمالها في طاعته، على المقسم عليه وهو كفران النعم واستعمالها فيما لا يرضي الله.

وهناك أمثلة أخرى في بيانه للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه[18]، لا يتسع المقام لذكرها.

4- حرص على بيان المناسبة بين مفردات المقسم به إذا تعدد: فمن مظاهر اهتمام الميداني بالتناسب في موضوع القسم، إهتمامه بالتناسب بين مفردات المقسم به إذا تعدد، أي إذا كان المقسم به أكثر من واحد، فهو:

أ- يرجح بعض المعاني المتعلقة بالمقسم به بناء على تناسبها مع بقية الأقسام الأخرى، ومن أمثلته ما ذكره في سياق تفسيره لسورة التين، حيث رد الميداني أقوال المفسرين في تفسير التين والزيتون، ورجح قولا متناسبا مع الأقسام التي جاءت بعده من نفس السورة قائلا: "ذكر المفسرون في تفسير المراد بقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أراء ليس لها سند من بيانات الرسول ﷺ، وأحسنها فيما أرى، ما هو منسجم ومتناسق مع القسم بطور سينين، والقسم بمكة البلد الأمين، وهو أيضا الملائم لما جاء في السورة بعد الأقسام الأربعة"[19].

فالمفسرون ذكروا أقوالا في تفسير ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، والميداني اختار الرأي المنسجم مع الأقسام اللاحقة في نفس السورة، وبين ذلك بقوله "إن القسم بمهبط الوحي الرباني على موسى عليه السلام، وهو طور سينين، والقسم بأول مهابط الوحي على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو البلد الأمين مكة المكرمة، يلائمه القسم بمهابط الوحي على جملة من أنبياء ورسله عليهم السلام، وهي بلاد التين والزيتون"[20].

ثم بين أن المراد بالقسم بالتين القسم ببلاد التين وهي بلاد الشام، وأن المراد بالقسم بالزيتون القسم ببلاد الزيتون وهي بلاد فلسطين[21].

ب- يستنبط بعض الفوائد التفسيرية اعتمادا على التناسب بين الأقسام، كقوله في تفسير القسم الوارد أول سورة البلد: "ولعل في الجمع بين البلد الحرام ووالد وما ولد، إشارة إلى أن هذا البلد أول أرض ظهرت عليها الحياة، وأول أرض ظهرت فيها السلالات الإنسانية، أليس فيها أول بيت وضع للناس"[22].

وكقوله في السورة نفسها: "ولعل أول مواليد آدم وحواء كانت في هذا البلد، فجمع الله في القسم بين هذا البلد ووالد وما ولد"[23].

فهذه الفوائد المستنبطة من الآيات، اعتمد فيها الميداني على التناسب بين مفردات المقسم به المتعدد، وهذا ما يؤكد اهتمامه بالتناسب في تدبره لآيات القرآن الكريم.

5- يوظف بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي[24].

ثانيا: أهمية بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه عند الميداني

سأبين ما ذكره الميداني عن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في النقاط التالية:

1- من أنواع التدبر الذي أمر الله به في كتابه: قال الميداني "على متدبر كتاب الله أن يبحث عن ارتباط المعنى المستفاد من جملة قرآنية بما تفرق في القرآن من معان تجتمع معه في موضوع واحد، وبمعاني الآية التي هي منها، والسورة التي هي فيها، كل معنى جزئي مستفاد من جملة قرآنية... وله ارتباط آخر وثيق بمعاني الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية..."[25].

فالميداني يصرح في كلامه بدخول بيان المناسبة العامة بين آيات السورة الواحدة في التدبر القرآني، ثم يصرح في موضع آخر بأن بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه خصوصا مما يدخل في التدبر القرآني، وهذا التصريح قال فيه "على متدبر كتاب الله عز وجل أن يبحث فيما جاء فيه من قسم من عدة وجوه: الوجه الأول: أن يبحث بأناة وتفكر وسبر قرآني ليكتشف المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه. فمن شأن التدبر المتأني أن يكشف للمتدبر الترابط البديع القائم على المناسبة الحكيمة بين المقسم به والمقسم عليه..."[26].

فالميداني يرى أن الترابط البديع بين المقسم به والمقسم عليه موجود، والمناسبة الحكيمة بينهما قائمة، وبالسبر القرآني، والتفكر العقلي، مع التؤدة والأناة ينشأ التدبر الموصل لاكتشاف تلك المناسبة، والمعين على إظهار ذلك الترابط.

2- يعين على فهم القرآن فهما صحيحا: فغالب القسم الوارد أول السور القرآنية يعتبره الميداني هو الدرس الأول من دروس السورة[27]، وبيان المناسبة وشرحها هو شرح لآيات الدرس الأول من دروس تلك السورة، وبيان التناسب بين الآيات، والترابط بين المقسم به والمقسم عليه مما يعين على فهم أمثل للقرآن الكريم.

3- من قرائن الترجيح بين المعاني المختلفة: سواء ما تعلق بالمقصود بالمقسم به في الآيات، أو ما تعلق بالمقصود من المقسم عليه. فالعلماء السابقون يختلفون في بيان معاني الآيات القرآنية، والعلماء اللاحقون يختارون أقرب الأقوال إلى الصواب في نظرهم، ويعتمدون في اختيارهم على قواعد ترجيحية، تكون مستندهم في الترجيح.

لذلك وجدت الميداني يرجح بين الأقوال اعتمادا على قاعدة "التناسب بين المقسم به وعليه"، فمن أمثلة ذلك: رد الميداني رأيا شائعا في تفسير المقسم به الوارد أوائل سورة الصافات، والذي ملخصه أن المقصود هم طائفة من الملائكة وصفهم الله تعالى في بداية السورة وأقسم بهم[28]، ثم يشير إلى سبب رده لهذا القول بقوله: "قيل: إن المقسم بهم أصناف من الملائكة، لكني لم أ رأن القسم بأصناف من الملائكة، وهم مخلوقات غير مشهودة للناس، يؤكد لدى المشركين أن إلههم لواحد...إن الملائكة مخلوقات غيبية، لم يعلم وجودهم، ولم تعلم صفاتهم إلا عن طريق الخبر الديني، والمشركون لم يقبلوا الخبر الديني ابتداء بشأن التوحيد، فكيف يؤكد لهم القسم بالملائكة الغائبين عن الحواس أنه لا إلاه إلا الله الواحد لا شريك له"[29].

فسبب رده لهذا القول الشائع في تفسير المقسم به هو عدم مناسبته للمقسم عليه، مما يؤكد استعماله للتناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الترجيح بين الأقوال.

وقد صرح الميداني باعتماد التناسب بينهما في الترجيح بقوله "... فمن شأن التدبر المتأني أن يكشف للمتدبر الترابط البديع القائم على المناسبة الحكيمة بين المقسم به والمقسم عليه، والمراد من المقسم به والمقسم عليه إذا كان أحدهما أو كلاهما محتملا لعدة تفسيرات"[30].

فقوله "محتملا" يشير به إلى تعدد الأقوال في تفسير المقسم به والمقسم عليه عند المفسرين، وبالاعتماد على التناسب بين المقسم به والمقسم عليه يكون الترجيح بين هذه الأقوال، واختيار أرجحها.

الفرع الثاني: أنواع علاقات المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه عند الميداني

ذكر الميداني في سياق بيانه للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه أنواعا من العلاقات بينهما، وهذه العلاقات هي الرابط الذي يربط بين طرفي القسم، ويبين وجه المناسبة بينهما، وقد تتبعت الأمثلة التي بين فيها وجه المناسبة وحاولت استخراج هذه العلاقات، وترتيبها في النقاط التالية:

أولا: المقسم به دليل وبرهان على صدق وصحة المقسم عليه

وهو الذي عبر عنه الغزالي بقوله عن قسم سورة يس: "قسم بقوة البرهان على صدق الرسالة، فإن الدليل الصحيح ينطق بصحة الدعوى"[31].

وعبر عنه الميداني بقوله "ويأتي التصرف الرباني الحكيم فيما يصلح لأن يقسم الله به باختيار القسم بما يتضمن نوع حجة تتصل بالقضية التي يؤكدها الله عز وجل بالقسم"[32].

فالله سبحانه يريد أن يذكر دليل صدق المقسم به، فيجعل المقسم به ذلك الدليل، ومن أمثلته ما ذكره في سورة يس بقوله: "... وبما أن القرآن يحمل بذاته الصفات التي تشهد بأنه كلام الله، وبما أنه لم يصل إلى الناس إلا بلاغا عن الله ﷻ، من النبي الرسول محمد ﷺ، فإن إتيانه به حجة قاطعة وبرهان ساطع على أنه رسول الله حقا وصدقا. فجاءت آية "إنك لمن المرسلين" المتضمنة المقسم عليه بمثابة النتيجة القطعية للدليل القطعي. ففي قسم الله ﷻ بالقرآن الحكيم على أن محمدا لمن المرسلين، تنبيه جلي على برهان كونه رسولا"[33].

ثم يوضح ذلك بقوله "فجاءت إنك لمن المرسلين: المتضمنة المقسم عليه، بمثابة النتيجة القطعية للدليل القطعي. في قسم الله ﷻ بالقرآن الحكيم على أن محمدا لمن المرسلين، تنبيه جلي على برهان كونه رسولا"[34].

وقد يراد بيان صحة المقسم عليه فيجعل المقسم به هو الدليل والبرهان، ومن أمثلته قوله "في سورة ق بلاغيات متنوعة،... منها: القسم بما يصلح لأن يكون دليلا على صحة المقسم عليه وصدقه. فقد جاء في صدر السورة القسم بالقرآن المجيد على أن محمدا رسول الله حقا وصدقا، وعلى أن خبر البعث إلى يوم الدين حق وصدق. ومن المعلوم أن إعجاز القرآن في مبانيه وفي معانيه دليل قاطع لدى من تلقاه بوعي وتدبر، على صدق كون محمد نبيا ورسولا مرسلا من الله العزيز الحكيم، وعلى صدقه في كل ما يبلغه عن ربه، ومنه نبأ البعث بعد الموت إلى يوم الدين"[35].

وهناك أمثلة أخرى[36] تؤكد هذه المسألة يمكن الاطلاع عليها لمن أراد الاستزادة.

ثانيا: علاقة التشبيه بين المقسم به والمقسم عليه

يقسم الله بأنواع من المقسم به على المقسم عليه لعلاقة الشبه بينهما، وهو نوع من أنواع التناسب، وهو الذي قال فيه الميداني "ويأتي التصرف الرباني الحكيم فيما يصلح لأن يقسم الله به باختيار القسم ... بما له بها مناسبة ما، ولو كانت على سبيل التشبيه أو التنظير لتقريب المقسم عليه إلى أفهام المقصودين بالخطاب، وليقيسوا عليه ما يجحدونه من غيبي على ما لا يقدرون على جحوده وإنكاره من مشهود"[37].

ومن أمثلته ما ذكره الميداني في سورة الطارق بقوله "والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه هي التشبيه، فالسماء محيطة بالأرض، والنجوم فيها كثيرة نافذة عيونها من ثقوب ستارة الليل إلى الأرض، وكل نفس محاطة بالعلم الرباني الذي لا يخفى عليه منها خافية، وعليها أيضا مراقب ثاقب لحجبها، يراقبها في خلواتها حتى داخل سرائرها من نيات ومكنونات مضمرات في صدورها، والتي سوف تكشف يوم الحساب في محكمة العدل الربانية"[38].

ثم قال: "والمناسبة هنا في تشبيه العلم الرباني الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض بالسماء المحيطة بالأرض، وتشبيه الرقباء من الملائكة بالنجوم الثواقب"[39].

المطلب الثالث: توظيف المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي عند الميداني

يعد الميداني من رواد التفسير الموضوعي في العصر الحديث، كما هو ظاهر في كتبه الكثيرة تنظيرا وتطبيقا، كما أن الميداني ممن اهتم بالمناسبات عموما، والمناسبات بين المقسم به والمقسم عليه خصوصا كما بينت في الفرع الأول من المبحث الثاني.

لكن هل يوظف من كتب في التفسير الموضوعي عموما، والميداني خصوصا هذه المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي أم لا؟ هذا ما سأجيب عليه في هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: توظيف رواد التفسير الموضوعي للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي

سأتتبع ما كتبه بعض من كتب في التفسير الموضوعي، لأرى مدى توظيفهم لبيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي، لأعرف قيمة ما قدمه الميداني في باب المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، وسأختار نموذجين مشهورين من رواد التفسير الموضوعي وفق التفصيل التالي:

أولا: مصطفى مسلم: فقد ذكر العلاقة الوثيقة بين المناسبات والتفسير الموضوعي عموما، وموضوع السورة على وجه الخصوص بقوله "علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي - وبخاصة التفسير الموضوعي للسورة - "[40].

كما أنه أشار إلى التناسب بين آيات السورة الواحدة خاصة القصيرة منها، وأخبر أن "الأصل في الآيات ضمن السورة أن تكون بينها وجه مناسبة، لأنها في الغالب - وبخاصة في السور القصيرة - تعرض موضوعا معينا، فالأصل أن يكون السياق موحدا، ولا ينتقل من موضوع إلى آخر، أو لا يبحث موضوع جديد بعد الموضوع الأول إلا وهناك وجه مناسب ورابط بين الموضوعين"[41].

فهو يرى ضرورة التناسب بين آيات السورة الواحدة، حتى ولو كانت السورة طويلة أو متوسطة فهناك ترابط بين دروسها وموضوعاتها الجزئية، وهذا كلام عام، لم يصرح فيه بعلاقة التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وبين دروس السورة، وإن كان داخلا فيه بدلالة اللزوم، ويؤكد أهمية إدراك المناسبات للباحثين في التفسير الموضوعي بقوله "إن إدراك المناسبات بين مقاطع السورة وافتتاحياتها وخاتمتها وسائر آياتها أمر على جانب كبير من الأهمية لمن أراد تفسير السورة تفسيرا موضوعيا..."[42].

ثانيا: محمد الغزالي: تتبعت مواضع القسم في أوائل السور عند الغزالي من خلال كتابه "نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم"، فلم أجده يصرح بضرورة بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، إلا أني وجدته يشير إليها في بعض المواطن، ففي سياق كلامه عن القسم الوارد أول سورة الدخان قال: "وإنما بوركت الليلة بما نزل فيها من الوحي الخاتم، فهو وحي عامر بالحكمة والنور والخير الكثير"[43].

فالغزالي يشير إلى وجه التناسب بين المقسم به وهو "القرآن"، والمقسم عليه وهو "إنزال القرآن في ليلة مباركة"، وهو العلاقة بين السبب والمسبب، فسبب بركة ليلة القدر هو القرآن.

ومثله ما ذكره في القسم الوارد أول سورة الضحى بقوله "قال العلماء: وفي هذين القسمين إشارة إلى وقت نزول الوحي ووقت توقفه"[44]، فبين المناسبة بين المقسم به، وهما "الضحى" و"الليل إذا سجى"، وبين المقسم عليه وهو "أن الله ما ودع محمدا، وأن الوحي لم ينقطع"، وذلك أن المقسم به وقتان من أوقات الوحي الذي نزل من قبل، وسينزل مستقبلا.

وهناك أمثلة أخرى فيها بعض الإشارات[45].

وعليه فالغزالي لم يصرح بالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، ولم يوظفها بطريقة واضحة في التفسير الموضوعي، إلا بعض الإشارات التي تفهم من تتبع كلامه.

الفرع الثاني: توظيف الميداني للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي

في هذا الفرع سأبين مدى توظيف الميداني للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي وذلك من خلال ما كتبه في تفسيره.

تتبعت ما كتبه الميداني في تفسيره حول المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، ووجدته يوظف ذلك في التفسير الموضوعي، وسأبين ذلك في النقاط التالية:

أولا: بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه من نتائج البحث بمنهجية التفسير الموضوعي

ففي سياق كلامه عن أوجه البحث عن القسم في القرآن قال "أن يبحث بأناة وتفكر وسبر قرآني ليكتشف المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه"[46].

فاستعماله لمصطلح "السبر القرآني" الذي يدل على خطوة من أهم خطوات التفسير الموضوعي، وهي جمع الآيات وتتبعها من خلال القرآن كله، مع ما يتبعه من خطوات تالية له يؤكد ذلك، بل إن الميداني يرى أنه ما توصل إلى ما توصل إليه من نتائج متعلقة بالقسم في القرآن، ومنها ما يتعلق بالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، إلا باعتماد منهجية التفسير الموضوعي خاصة سبر الآيات وتتبعها، قال الميداني "لم أجد فيما اطلعت عليه مما كتبه السابقون هذه النظرة الشاملة التي فتح الله بها علي، نتيجة السبر للقسم في القرآن، والتأمل في الأقسام القرآنية بأناة وتعمق، والحمد لله على ما فتح به علي"[47].

ويفهم من كلامه أن المفسرين السابقين لم يصلوا لبيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه كما وصل إليها الميداني لتركهم النظرة الشاملة الكلية لآيات القسم في القرآن كله.

ومما يؤكد ذلك أنه رد الأقوال التي فسرت بها الأقسام الواردة أول سورة المرسلات، كقولهم إن المقصود بها الملائكة، ورجح أن المقصود بها "الرياح"، معتمدا في ذلك على التتبع والاستقراء للأقسام في القرآن، معتمدا على منهجية التفسير الموضوعي، مبينا ذلك بقوله: "ودلني الاستقراء القرآني مع التدبر المتأني على أن من المستبعد جدا، أن يقسم الرب الحكيم بأمور غيبية هي مما ينكره المقصودون بالخطاب أو يشكون فيه، على قضية غيبية أخرى لتأكيدها"[48].

وهذا ما يؤكد اعتماده على منهجية التفسير الموضوعي لتقرير النتائج المتوصل إليها في تحديد المقسم به والمقسم عليه والعلاقة بينهما.

ثانيا: يربط بين المقسم به والمقسم عليه وبين موضوع السورة التي ورد فيها القسم

يعتبر الميداني من المفسرين الذين يعنون ببيان الموضوع العام في كل سورة من السور السبعة والثمانين التي ذكرها في تفسيره معارج التفكر ودقائق التدبر، كما أنه يعتني بتقسيم السورة القرآنية إلى دروس متعانقة مع موضوعها العام في أغلب السور التي فسرها.

كما أنه يربط بين المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وبين موضوع السورة التي ذكر فيها ذلك القسم، ومن أوضح الأمثلة ما ذكره في تفسير سورة النازعات، إذ اعتبر الميداني القسم الوارد أول السورة مع المقسم عليه هو الموضوع العام الذي تدور عليه سورة النازعات. قال "يدور موضوع هذه السورة حول قسم بسلطان الله ﷻ في تسخيره أصنافا من الملائكة لتنفيذ تدبيره الذي قدره وقضاه من السماء إلى الأرض... والمقسم عليه أن البعث بعد الموت حق، وأن يوم الدين وكل أحداثه التي أنبأ بها الله ﷻ حق"[49].

فهذا الموضوع العام هو المقسم عليه الوارد أول السورة، وعليه فبيانه للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه هو بيان للارتباط بين القسم بأركانه وبين موضوع السورة. فقد جعل الدرس الأول من دروس هذه السورة مشتملا على الأقسام الخمسة التي افتتحت بها سورة النازعات التي تتكلم عن وقوع البعث يوم القيامة، ثم أشار إلى مناسبة اختيار هذه الأقسام بقوله "في آيات هذا الدرس أقسم الله عز وجل بأصناف من الملائكة الخاضعة لسلطانه، وتنفيذ ما يأمرهم به في كونه، على أن البعث بعد الموت حق، وعلى أن يوم الدين وكل أحداثه التي أنبأ بها حق"[50].

ففي هذا النص لم يصرح بالمناسبة وإنما أشار لخضوع الملائكة لسلطان خالقها وتنفيذها لأمره، وتحركها وفق إرادته، وإنما أشار للمناسبة حينما ذكر قوة الله العظيمة، وتنفيذ أمره وفق إرادته، ومن ذلك ما اختاره الله من البعث والنشور الذي يدخل ضمن قوة الله وتنفيذ أمره وفق ما أراده.

ثم يشير إلى المناسبة بإشارة أقوى من الأولى بقوله "والقسم بجماعات الملائكة الذين لهم وظيفة قبض الأرواح وفصلها عن النفوس في ظاهرة الموت، كناية عن قسم الله بسلطانه القاهر فوق عباده في الحياة والموت، وتسخير مخلوقات غيبية عن الناس وهم ملائكته ليكونوا أسباب تنفيذ ما قدره الله وقضاه ـ ﷻ وعظم سلطانه ـ وهو فيها هو الخالق"[51].

فالميداني يشير إلى العلاقة بين ما أقسم به في الآيتين الأوليين وهم الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين بشدة وأرواح المؤمنين برفق ولين، وبين موضوع السورة، فالذي قدر على إرسال الملائكة لقبض الأرواح وأنتم تشاهدون ذلك، قادر على إرسال الملائكة لبعث الناس للحساب والجزاء، ويؤكد على ذلك بذكر صفة من صفات الملائكة وهي أنها منفذة لأمر الله لا تعصيه أبدا، فهي تطيعه وتنفذ أمره في بعث الناس من قبورهم، كما تطيعه وتنفذ أمره في قبض الأرواح، فالذي قدر على الأول لا يعجز عن الثاني، والذي أذن بالإماتة هو الذي سيأذن بالإحياء.

فالملائكة يتحركون وفق إرادة الله، فهو يتصرف في أحداث الكون كما يشاء، ومن ذلك قدرته على البعث والجزاء، قال الميداني "والقسم بهذه الجماعات من ملائكته كناية عن قسمه ﷻ بتصريف أحداث كونه، وتسخير مخلوقات غيبية عن الناس هم ملائكته ليكونوا أسباب تنفيذ ما سبق أن قدره الله وقضاه وهو في الحقيقة الخلاق الفعال من باطن قنوات الأسباب"[52].

ثم يبين مناسبة القسم الثالث لموضوع السورة بقوله: "والمراد سبحا حكيما بدأب، دون كلل ولا تعب، ... يترقبون دواما ما ينزل إليهم من أوامر ربانية، ليقوموا بتنفيذها في كونه دون تباطؤ ولا تأخر عن الوقت المحدد لهم للتنفيذ بمقتضى تقدير الله وقضائه"[53].

فكأنه يقول: إن هذه الملائكة السابحة تنتظر أمر الله ببعث الناس من قبورهم، وأنها ستنفذ أمره بلا تأخير لذلك أقسم الله بها.

ثم يبين مناسبة القسم الرابع لموضوع السورة بقوله "أي فالمتقدمات المسرعات لتنفيذ أوامر الله في الأماكن المطلوب تنفيذ أوامر الله فيها مهما كانت نائية بعيدة" ويؤكد ذلك بأمور[54]:

1- عطفها بالفاء " فالسابقات " التي تفيد الترتيب مع التعقيب للدلالة على سرعة تنفيذ أمر الله.

2- استعمل مادة السبق التي تدل على وجود سابق ومسبوق للدلالة على المبالغة في سرعة الوصول إلى مكان تنفيذ أمر الله.

3- توكيد السبق بالمفعول المطلق "سبقا" للدلالة على مبالغتها في طاعة الله.

وكأنه يقول: إن هذه الملائكة السابحة تنتظر أمر الله ببعث الناس من قبورهم، وأنها ستنفذ أمره بلا تأخير لذلك أقسم الله بها.

ومما يؤكد بوضوح ذلك الارتباط، تصريحه بتعانق دروس السورة حول موضوعها بقوله "وهي دروس متعانقة فيما بينها ضمن وحدة موضوع"[55].

وبما أن الدرس الأول من السورة متعلق بالقسم والمقسم عليه، ثم ينص على أن هذا الدرس متعانق مع بقية الدروس ضمن وحدة موضوع، فيفهم من هذا أن بيان العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه لها علاقة ببيان وحدة موضوع السورة.

ومن الأمثلة الظاهرة: حينما وضح الميداني العلاقة بين الدرس الأول من سورة الليل الذي جاء فيه المقسم به وعليه وبين موضوع السورة بيانا مختصرا بقوله "يتفرع التالي منها عما سبقه ضمن وحدة موضوع"[56]، ثم بينه بشكل أوسع بقوله "والمقسم عليه هو أن سعي الناس في الحياة الدنيا مختلف اختلافا كبيرا إلى حد التناقض بين قمة الخير وحضيض الشر، وهذا يدل على أن الله جلت حكمته قد منحهم إرادات حرة، ليمتحنهم في ظروف الحياة الدنيا ..."[57].

ففي الكلام السابق ربط بين موضوع الدرس الأول وبين موضوع السورة الذي قال عنه "فموضوع السورة يدور حول ابتلاء الناس من خلال حرية الإرادة الممنوحة لهم، ومسؤولياتهم عن أعمالهم الإرادية تجاه ربهم، وجزائهم يوم الدين بالثواب أو العقاب ..."[58].

ويؤكد هذا الترابط بقوله "وهذا السعي المختلف في الناس إنما هو مظهر لإرادتهم الحرة التي منحهم الله إياها ليمتحنهم، ومن أجل هذا وضعهم في ظروف الامتحان الأمثل، وأعطاهم من الصفات ما يجعلهم مؤهلين لاختيار الخير والعمل به، واختيار الشر والعمل به، فإذا اختاروا الخير أمدهم الله بعونه وتوفيقه، وإذا اختاروا الشر تركهم لما سخر للناس من أسباب"[59].

ثالثا: يربط بين المقسم به والمقسم عليه وبين دروس السورة التي ورد فيها القسم

اهتم الميداني كغيره ممن كتب في التفسير الموضوعي تنظيرا وتطبيقا، ببيان التناسب بين دروس السورة فيما بينها، لبيان تكامل أفكارها فيما بينها، وتعانق معانيها مع موضوع السورة.

ومن ذلك بيانه التناسب بين الدرس الأول الذي ورد فيه القسم وبين الدروس الأخرى من نفس السورة، فهو يبين التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ثم يبين التناسب بين ذلك الدرس الذي جاء فيه

القسم وبين الدروس اللاحقة، مما يؤكد توظيفه للمناسبة بين القسم بأركانه خدمة لمنهجية التفسير الموضوعي.

وسأذكر مثالين يوضحان ذلك.

المثال الأول: ما جاء في سورة الليل، حيث قسم دروس السورة إلى ثلاثة دروس، الدرس الأول منها ما يتعلق بالمقسم به والمقسم عليه الوارد أول السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)﴾.

وهذه الدروس الثلاثة "يتفرع التالي منها عما سبقه ضمن وحدة موضوع"[60].

فيستفاد من هذا النص أن المقسم به والمقسم عليه في الدرس متناسب مع الدرس الثاني والثالث، لقوله: "يتفرع التالي منها عما سبقه"، ومتناسب مع موضوع السورة لقوله: "ضمن وحدة موضوع".

ثم يوضح الميداني هذا التناسب بقوله: "الدرس الثاني: وجاء الدرس الثاني متفرعا عن الدرس الأول، واختير فيه بيان نوع من سلوك الناس الذي يختلفون فيه اختلاف كبيرا إلى حد التباين، وهو سلوكهم فيما يملكون من أموال بذلا في الخيرات أو بخلا وإمساكا"[61].

فيفهم من هذا أن ثمة ترابط بين المقسم عليه الوارد في الدرس الأول وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، وبين ما جاء في الدرس الثاني من ذكر حال الناس مع الإنفاق والعطاء في سبيل الله، فهو من باب إعطاء المثال عما أقسم الله عليه في الدرس الأول. فكأن سائلا لما سمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ تساءل عن مثال يوضح اختلاف سعي الإنسان، فجاء الدرس الثاني يذكر مثالين: الأول منهما مثال عمن انفق من ماله وكان من المتقين المصدقين فإن الله ييسره لليسرى، والثاني منهما مثال عمن بخل وكذب فسييسره للعسرى.

ثم ينص الميداني على أن الدرس الأول تمهيد للدرس الثاني ومقدمة له، وذلك بقوله: "وقد جاء بيان أن سعي المخاطبين بالآية سعي مختلف اختلافا كبيرا، تمهيدا لبيان صور الجزاء المختلفة المناسبة للسعي المختلف"[62].

ثم يبين الميداني وجه الترابط بين الدرس الثالث والدرس الأول الذي ورد فيه القسم بقوله "الدرس الثالث: جاء فيه الإجابة على أسئلة مطوية تستثيرها في النفوس فقرات الدرسين السابقين"[63].

فالدرس الثالث له علاقة بالدرسين السابقين، من حيث استثارته لأسئلة مطوية يكشفها المتدبر للسورة كوحدة موضوع وفق منهجية التفسير الموضوعي، وهذا ما يؤكد أوجه الترابط بين دروس السورة.

المثال الثاني: ما جاء في سورة الشمس، والتي قسمها الميداني إلى درسين، فأما الدرس الأول فهو الذي ورد فيه القسم بسبعة ظواهر كونية على أن البعث والجزاء حق كائن لا محالة، وقد بين الميداني المناسبة بين المقسم به وهي الظواهر الكونية السبعة، وبين المقسم عليه وهو البعث والجزاء بقوله "إن القسم بالصنعة يدل على الصانع وصفاته، وإن القسم بالمشهود هو بمثابة الدليل القوي على صدق وقوع المقسم عليه الغائب المماثل للمشهود"[64].

فهذه الظواهر الكونية المقسم بها ـ الشمس والقمر والليل والنهار...ـ مشاهدة ومتكررة، ودالة على قدرة الله العظيمة في العاجل والآجل، وهي دليل قدرة الله اللامتناهية، ومنها قدرته على البعث والجزاء.

ثم يشير إلى وجه الترابط بين الدرس الأول الذي ورد فيه المقسم به والمقسم عليه وبين الدرس الثاني بقوله "بعد القسم بالظواهر الكونية السبع المشهودة جاء المقسم عليه وهو خبر غيبي مستقبلي له شواهد من أحداث ماضية قد وقعت فعلا في العاجلة قبل الآجلة "[65].

ويشير بهذا الكلام إلى وجه الترابط بين الدرس الأول والثاني، وهذا من توظيف مناسبة القسم لبيان ترابط دروس السورة، فالدرس الأول أقسم الله فيه بسبعة أشياء على أن الجزاء والحساب واقع، ثم ذكر في الدرس الثاني مثال عن الحساب الرباني المعجل الذي أنزله على قوم ثمود، ليؤكد قدرة الله على الحساب وليقيس المتدبر وقوع الحساب الآجل بوقوعه عاجلا.

ثم يصرح بذلك بقوله "وقد جاءت قصة هذا المثل موجزة مناسبة لحجم السورة، ومرحلة نزولها، ومعلوم أن ذكر العقاب المعجل ينبه على العقاب المؤجل إلى يوم الدين"[66].

وهناك أمثلة أخرى ذكرها الميداني[67]، تركتها خشية الإطالة، وفيما أوردت بيان للمقصود.

خاتمة:

وختاما أقول: الحمد لله الذي وفقني لإنهاء مقالي هذا الموسوم بـــ: "المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في فواتح السور وصلته بالتفسير الموضوعي عند حبنكة الميداني من خلال كتابه معارج التفكر"، وقد توصلت فيه إلى مجموعة نتائج أذكرها في النقاط التالية:

1- اهتم عبد الرحمان حبنكة الميداني ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه تنظيرا وتطبيقا، ويعد رائدا في التصريح بهذا النوع من المناسبة.

2- بيَن الميداني المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في ثلاثة عشر سورة، بشكل صريح.

3- اعتمد الميداني على المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في تفسير آيات القرآن، وترجيح المعاني المختلفة التي تحتملها الآيات، ويعتبر رائدا في استعمال هذا النوع من المناسبة في الترجيح.

4- من أنواع العلاقات بين المقسم به والمقسم عليه: علاقة الدليل والبرهان، وعلاقة التشبيه.

5- لم يهتم غير الميداني ممن اشتغل بالتفسير الموضوعي ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، ولا بتوظيفها، إلا بعض الإشارات العامة النظرية أو التطبيقية.

6- وظف الميداني المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير الموضوعي، من خلال بيان ارتباطها بموضوع السورة، وبدروسها، ويعتبر هذا من الإضافات التي تميز بها على غيره ممن كتب في التفسير الموضوعي.

التوصيات:

1- أوصي الباحثين بالكتابة حول موضوع "بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه" عند مفسري القرآن، إفرادا وجمعا.

2- أوصي الباحثين بالكتابة حول موضوع "توظيف بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه" عند رواد التفسير الموضوعي ممكن كتبوا فيه تنظيرا وتطبيقا، مع مقارنتها بجهود الميداني من خلال هذا المقال.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
1- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت 885 هـ - 1480م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، (1389-1404هـ) (1969 - 1984م).
2- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة مصر، ط 1، 1422هـ - 2001م.
3- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء الثرات العربي، بيروت لبنان، ط 1، (1417هـ - 1996م).
4- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، طبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط 2، (1389- 1392هـ) (1969- 1972م).
5- صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان الأردن، ط 3، (1433هـ-2012م).
6- عائدة راغب الجراح، عبد الرحمان حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، دار القلم، دمشق سوريا، ط 1، (1422هـ - 2001م).
7- عبد الرحمان حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل، دار القلم، دمشق سوريا، الطبعة الرابعة، (1430هـ - 2009م).
8- عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق سوريا، ط 1، (1420هـ - 2000م).
9- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، طبعة خانجي، القاهرة مصر، ط 5، (1421هـ - 2001م).
10- أبو عبد الله محمد القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 1، (1427هـ - 2006م).
11- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ط 2، (1420هـ - 1999م).
12- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط 8، (1426هـ - 2005م).
13- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة مصر، ط 4، (1420هـ - 2000م).
14- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق سوريا، ط 3، (1421هـ - 2000م).

الهوامش:

(1) ينظر: عائدة راغب الجراح، عبد الرحمان حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، دار القلم دمشق، ط1، ص 11-20 بتصرف.

(2) ينظر: العنوان الكامل للكتاب: معارج التفكر ودقائق التدبر، تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول.....

(3) عبد الرحمان حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل، دار القلم، دمشق سوريا، ط 4، (1430هـ - 2009م)، ص7.

(4) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، (1426هـ - 2005م)، ص137.

(5) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، طبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط 2، (1389- 1392هـ) (1969- 1972م)، 441/5.

(6) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، طبعة دار القلم، دمشق سوريا، ط 3، (1421هـ - 2000م)، ص 18.

(7) عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، طبعة خانجي، القاهرة مصر، ط 5، (1421هـ-2001م)، ص45.

(8) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء الثرات العربي، بيروت لبنان، ط 1، (1417هـ- 1996م)، 171/4.

(9) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، م.س، ص 16-17.

(10) صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان الأردن، ط 3، (1433هـ - 2012م)، ص59. وينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، م س، ص 23 - 29.

(11) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل، م س، ص465.

(12) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق سوريا، ط 1، (1420هـ - 2000م)، 358/3.

(13) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 261/3.

(14) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل، م س، ص 465 - 472.

(15) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م س، 561/1-562.

(16) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 562/1- 563.

(17) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 635/1.

(18) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 210/1، 489، 100/2، 560 - 561، 259/3.

(19) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 400/3.

(20) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 400/3.

(21) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 400/3.

(22) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 182/3.

(23) قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمان حبنكة الميداني، م س، ص487.

(24) ينظر: الفرع الثاني من المطلب الثالث من هذا المقال.

(25) عبد الرحمان حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل، م س، ص 9 - 10.

(26) عبد الرحمان حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل، م ن، ص463.

(27) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م.س، الدرس الأول من: سورة الليل: 485/1، سورة الفجر: 514/1، سورة الشمس: 307/2، سورة التين: 400/2.

(28) ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة مصر، ط 1، (1422هـ - 2001م)، 492/19 - 495، و: أبو عبد الله محمد القرطبي (ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 1، (1427هـ- 2006م)، 4/18، وأبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ط 2، (1420هـ - 1999م)، 5/7.

(29) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م.س،545/11 - 546.

(30) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، ص463.

(31) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، طبعة دار الشروق، القاهرة مصر، ط 4، (1420هـ - 2000م)، ص342.

(32) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م.س، 260/3 - 261.

(33) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م.ن، 30/6.

(34) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م.ن، 30/6.

(35) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 140/3، وينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 18/3.

(36) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 354/3، 484، 486 - 487، 643 - 644.

(37) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 260/3 - 261.

(38) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 259/3.

(39) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م ن، 260/3 -261.

(40) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، م. س، ص59.

(41) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، م. ن، ص71.

(42) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، م. ن، ص 92 - 93.

(43) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم، م. س، ص 386.

(44) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم، م. ن، ص 526.

(45) ينظر: محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم، م. ن، ص 324، 513، 525.

(46) قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمان حبنكة الميداني، م. س، ص 463.

(47) قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمان حبنكة الميداني، م. ن، ص 463.

(48) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. س، 665/2.

(49) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 41/14.

(50) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 44/15

(51) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 44/15 – 45.

(52) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 45/15.

(53) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 46/15.

(54) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 46/15.

(55) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 42/15.

(56) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن،484/1.

(57) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن،487/1.

(58) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن،1/486.
(59) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 1/491 - 492. وينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 1/490.
(60) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 1/484.
(61) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن،1/485.
(62) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن،1/492.
(63) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن،1/485.
(64) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 2/308.
(65) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 2/319.
(66) عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 2/307
(67) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، م. ن، 1/580،